الولاء والبراء

من باب «الشرك» من كتاب

أنا مسلم

الجامعُ لعقيدةِ أهل السُّنَّةِ والجماعة

كتبه وأعده

د. محمد أشرف صلاح حجازي

الطبعة الثالثة المزيدة

١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م

حقوق الطبع والتوزيع والنقل محفوظة لكل مسلم ومسلمة

للمساعدة في التوزيع الخيري اتصل على 002 01113383389

﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾

للاقتراحات أرسل على البريد الإلكتروني

anamuslim@windowslive.com

لمزيد من الكتب:

www.Iam-muslim.com

www.Iam-muslim.net

الحمد لله كما أمر ، والصلاة والسلام على خير البشر محمد رسول الله ﷺ وعلى آله وذريته وأصحابه ومن سار على الأثر .

أما بعد ....

الولاء والبراء

ما هو الولاء ؟ وما هو البراء ؟ ومن هو الولي ؟

الولاء هو:

١ – المحبة الواجبة لله، ولمن أمر الله بحبهم من الأنبياء والصالحين.

٢ – النصرة الواجبة لدين الله ولأوليائه.

٣ – الطاعة المتابعة الواجبة لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين.

٤ – المعاونة والنصح للمسلمين.

٥ – التشبه والتقليد للصالحين.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥-٥٦]

وقال الله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]

البراء هو:

١- التبرؤ من الشرك والمشركين، وعداوتهم، وبغضهم لشركهم بالله.

٢- وعدم التشبه بهم في أسمائهم وعاداتهم وعباداتهم وأعيادهم وتأريخهم.

٣- عدم التواجد تحت سلطانهم إلا لغرضٍ شرعي أو دعوتهم للإسلام.

٤- عدم بدؤهم بالسلام أو مجاملتهم على حساب الدين.

٥- عدم العمل لديهم في وظيفة مهينة أو محرمة.

والولاء عكس البراء، فمحبة المؤمنين عكسها بغض الكافرين، ونصرة الإسلام عكسها عداوة الشرك وإن كثرت مذاهبه، وطاعة الرحمن عكسها البراءة من الطواغيت وأحكامهم.

قال الله تعالى: ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ**﴾ [الممتحنة: ٤]

وقال الله تعالى مخبرًا عن إبراهيم عليه السلام إمام الحنفاء في تبرئه من غير الله: ﴿**إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ**﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧]، فتبرَّأ إبراهيم عليه السلام من كل المعبودات والمتبوعات الباطلة من دون الله.

وقال الله تعالى مخبرًا عن إبراهيم عليه السلام: ﴿**قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ**

وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [هود: ٥٤]

۞ وثبت أن رسول الله ﷺ بايع جريرًا بن عبد الله البجلي رضي الله عنه فقال: «وَتَبْرَأُ مِنَ الشِّرْكِ» [صحيح البخاري ٦٠٢١]

وفي رواية قال رسول الله ﷺ: «وتبرأ من الكافر»

وفي رواية قال رسول الله ﷺ: «وتفارق المشرك»

وفي رواية قال رسول الله ﷺ: «وتفارق المشركين»

فمن أصول العقيدة الإسلامية أنه يجب على كل مسلم أن يوالي أهل الإسلام، ويعادي أعداءه، فيحب أهل التوحيد والإخلاص ويواليهم، ويبغض أهل الشرك ويعاديهم.

وليُّ الله

هو المتابع لله تعالى فيما يحبه ويرضاه، ولا يكتفي بصلاح نفسه بل يأمر غيره بذلك.

وهو المبتعد عن ما يبغض الله ويسخطه، وينهى غيره عن ذلك.

وأما عدو الله فبعكس ذلك.

ومن عادى أولياء الله فقد عادى الله سبحانه، ومن عاداه فقد حاربه سبحانه.

۞ قال الله تعالى في الحديث القدسي: «**مَنْ عادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ.**» [صحيح البخاري ٦٥٠٢]

حكم موالاة الكافرين

١- حذرنا تعالى من موالاة اليهود والنصارى وسائر المشركين:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥١-٥٣]

فأخبرنا الله تعالى:

أ- أن من تولاهم يأخذ حكمهم، ويتصف بصفتهم، **ويصبح منهم**.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾

ب- وأن **موالاتهم علامة على الظلم**، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

جـ- **وعلامة على مرض القلب والنفاق.**

قال الله تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾

د- **وأن موالاتهم تسبب حبوط العمل**، قال الله تعالى: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾

هـ- **وأن موالاتهم سبب للخسران المبين**، قال الله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾

٢- أخبر تعالى عن من والاهم أنه ليس من الله في شيء، وأن الله بريء منه.

قال الله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨]

٣- أخبرنا الله تعالى أن مجرد مودة الكافرين علامة على الضلال:

برغم عدم موافقة القلب لكفرهم، حتى وإن كانت المودة في السرِّ ولم يُعلن بها.

قال الله تعالى: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: ١]

٤- أخبرنا الله تعالى أن المؤمنين إن لم يتولوا بعضهم بعضًا، ويتبرؤا من المشركين؛ وقعت فتنة عظيمة وفساد كبير باختلاط المؤمنين بالكافرين وعدم تمايزهم:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٢]

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ

تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴾ [الأنفال: ٧٣]

قال الله تعالى: ﴿**إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ**﴾ [الأنفال: ٧٧]

❁ قال ابن كثير: «أي إن لم تجانبوا المشركين وتُوالوا المؤمنين، وإلا وقعت فتنة في الناس، وهو التباس الأمة، **واختلاط المؤمنين بالكافرين**، فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل» [تفسير ابن كثير ٢/٣٠].

فإن التمايز مطلوب لأمة الإسلام؛ حتى تتمكن من إقامة الشعائر، وإقامة الحدود، وإقامة الجهاد الذي هو ذروة سنام الدين.

– وعاب الله تعالى على بني إسرائيل موالاتهم للكفار، فسخط الله عليهم لذلك، ونفى عنهم الإيمان بالله والنبي والقرآن عندما اتخذوا الكفار أولياء.

قال الله تعالى: ﴿**تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ٨٠ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ**﴾ [المائدة: ٨٠-٨١]

٥- تحرم موالاة الكفار أعداء الله وأعداء رسوله وأعداء أوليائه وأعداء دينه:

وقال الله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ**﴾ [الممتحنة: ١]

وقال الله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ**﴾ [النساء: ١٤٤]

وقال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ**﴾ [هود: ١١٣]

وقال الله تعالى: ﴿**وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ**﴾ [الجاثية: ١٩]

٦- وتحرم موالاة اليهود والنصارى خصوصاً:

قال الله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ**﴾ [المائدة: ٥١]

وقال الله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَ**﴾ [المائدة: ٥٧]

❁ وعن نوفل الأشجعي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «اقْرَأْ ﴿**قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ**﴾، ثُمَّ نَمْ عَلَى خَاتِمَتِهَا، فَإِنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنَ الشِّرْكِ.»

[حسن: رواه أبو داود ٥٠٥٥، والترمذي ٣٤٠٣، وحسنه الألباني]

٧- بل تحرم موالاة الكفار، وإن كانوا من أقرب الناس نسباً:

قال الله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ**

أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [التوبة: ٢٣]

وقال الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]

۞ ومدح الله تعالى إبراهيم عليه السلام على تبرئه من أبيه الكافر، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾[التوبة: ١١٤]، فلم يكتفِ إبراهيم عليه السلام بالتبرؤ من الآلهة الباطلة والديانة الفاسدة، بل تبرأ من أتباعها أيضًا، وإن كان منهم أبوه.

٨- ذلك بأن المؤمنين رضوا بالله وليًا ونصيرًا:

قال الله تعالى: ﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥]

وقال الله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٤٥]

وقال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]

وقال الله تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الأنفال: ٤٠]

- فلما والى المؤمنون ربهم تولاهم.

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]

٩- وأن الكافرين اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠]

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧]

وقال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ﴾ [البقرة: ٢٥٧]

وقال الله تعالى: ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ٦٣]

وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَـٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٩].

من أحكام الولاء والبراء

أولاً ـ المحبة:

۞ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أصل الولاية المحبة والقرب، وأصل العداوة البغض والبعد»

١- محبة الله هي أصل الإيمان والتوحيد:

۞ فحب الله والولاء له من أول أركان الدين، فمن لوازم كلمة التوحيد « **لا إله إلا الله** » صرف الحب ـ كل الحب ـ لله وحده، ونفي ذلك عن كل ما عداه، وكيف لا نحبه سبحانه وهو الذي امتن علينا بكل النعم؟

قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ** ﴾[النحل: ٥٣].

وقال الله تعالى: ﴿**قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ**﴾ [الأنعام: ١٤]

فخيرُه سبحانه إلى العباد نازل، وشرُّهم إليه صاعد، يتحبَّب إلى عباده بنعمه إليهم وهو غني عنهم، ويتبغَّضون إليه بالمعاصي وهم الفقراء إليه.

فلا إحسان الرب يردع العبد عن المعصية، ولا معصية العبد تقطع إحسان الرب، فمن يكشف الكربات إلا هو؟! ومن يغيث اللهفات إلا هو؟! ومن يجيب الدعوات إلا هو؟!

أعطى العبد قبل أن يسأله فوق ما يؤمله، يشكر القليل من

العمل، ويغفر الكثير من الزلل، يحب الملحين في الدعاء، ويغضب على من لا يسأله، يستحيي من العبد حيث لا يستحيي العبد منه، ويستره حيث لا يستر العبد نفسه، ويرحمه حيث لا يرحم العبد نفسه.

۞ قال رسول الله ﷺ: «**ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإِيمانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سَوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ.**» [صحيح البخاري ١٦ ومسلم ٤٣.]

٢- المرء يحشر يوم القيامة مع من أحب:

۞ قال رسول الله ﷺ: «**الْمَرْءَ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**» [صحيح البخاري ٦١٦٨ ومسلم ٢٦٤١]

فما أسعد من أحب الله ورسوله ﷺ، ومن صدق في حبه لربه، وأتى بلوازم تلك المحبة من طاعة الله، رفعه الله في الدرجات، وأنجاه من الدركات، فكانت محبة الله أفضل عمله.

۞ قال ابن القيم عن منزلة المحبة: «تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة؛ إذ لهم من محبة محبوبهم أوفر نصيب، وقد قضى الله يوم قدر مقادير الخلائق ـ بمشيئته وحكمته البالغة ـ أن المرء مع من أحب، فيا لها من نعمة على المحبين سابغة» [مدارج السالكين ٣/٧]

٣- محبة الله توجب محبة ما يحبه الله:

۞ فمتى امتلأ القلب بحب الله وتعظيمه محا ذلك من القلب حبَّ كل ما سواه، ولم يبق للعبد شيء من هوى نفسه وشهواته إلا ما يريده منه مولاه.

۞ وإذا حقق العبد التوحيد التام لم يبق في قلبه محبة لغير الله، ولا كراهة لغير ما يكرهه الله، فلا تنبعث جوارحه إلا بطاعة الله.

۞ فإنما تنشأ الذنوب من محبة ما يكرهه الله، أو كراهة ما يحبه الله، وسبب ذلك هو تقديم هوى النفس على محبة الله وخشيته.

٤- تجب محبة أولياء الله ومعاداة أعدائه:

وبهذا بعث الله الرسل وأنزل الكتب؛ ليكون الدين كله لله، ويكون الحب لأوليائه، والبغض لأعدائه، ويكون الإكرام والثواب لأوليائه، والإهانة والعقاب لأعدائه.

قال الله تعالى: ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** ﴾ [التوبة: ٧١].

وقال الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾ [الحجرات: ١٠]

۞ قال رسول الله ﷺ في الأنصار: «**لا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يَبْغَضُهُمْ إِلا مُنَافِقٌ، مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ.**» [صحيح البخاري ٣٧٨٣ ومسلم ٧٥]

۞ قال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ.**» [صحيح مسلم ٥٤]

۞ قال رسول الله ﷺ في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: « **رَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ.** » [صحيح البخاري ٦٦٠ ومسلم ١٠٣١]

فتجب محبة رسول الله ﷺ وآل بيته الكرام وسائر صحابته رضوان

الله عليهم أجمعين وكذلك سائر الأولياء والصالحين والصديقين والشهداء والملائكة.

وقال الله تعالى في شأن غير المسلمين: ﴿**وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا**﴾ [النساء:٨٩].

۞ قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الإِسْلامِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللهِ وَتُبْغِضَ فِي اللهِ**» [حسن رواه أحمد ٤/٤٨٦ وحسنه الألباني في الصحيحة ٩٩٨]

۞ وعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: «**أَوْثَقُ عُرَى الإِيمَانِ الْمُوَالاةُ فِي اللهِ، وَالْمُعَادَاةُ فِي اللهِ، وَالْحُبُّ فِي اللهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللهِ**» [صحيح رواه الطبراني في المعجم الكبير ٢١٥/١١ وحسنه لغيره الألباني في الصحيحة ٩٩٨]

۞ ومن عادى في الله ووالى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك.

۞ وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تُنال ولاية الله بذلك»

۞ قال شيخ الإسلام ابن تيمية : لا تجتمع محبة الله ومحبة أعدائه في قلب مؤمن.

٥-يجب حب المؤمن على قد رإيمانه:

أ. يجب حب المؤمن كامل الإيمان من كل وجه

لأن الله كرمه في الدنيا، وأعد له الجنة في الآخرة، وهؤلاء هم الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون، وعلى رأسهم رسول الله ﷺ، وزوجاته أمهات المؤمنين - رضي الله عنهنَّ - ، وأهل بيته، وصحابته، خصوصًا الخلفاء الراشدين، والعشرة المبشرين بالجنة، والمهاجرين، والأنصار، وأهل بدر، وأهل بيعة الرضوان،

وبقية الصحابة، والتابعين، وسلف الأمة، وأئمة الهدى، وعلى رأسهم الأئمة الأربعة: مالك وأحمد والشافعي وأبو حنيفة، ولا يبغض هؤلاء إلا أهل الزيغ والنفاق وأعداء الإسلام.

ب ـ ويجب بغض الكافر من كل وجه.

لأن الله أمر بعقابه في الدنيا، وأعد له العذاب في الآخرة، وهم الكفار والمشركون والمنافقون والمرتدُّون والملحدون والشيوعيون والزنادقة على اختلاف أجناسهم.

جـ ـ ويجب حب المؤمن العاصي على قدر إيمانه

ويجب بغضه على قدر معصيته وبدعته، ويوالَى على قدر خيره، ويُعادَى على قدر شره.

۞ قال شيخ الإسلام إبن تيمية: «وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفجور، وطاعة ومعصية، وسنة وبدعة: استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر» [مجموع الفتاوى ٢٨/ ٢٠٩]

۞ ومحبته تقتضي نصحه، وأمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر، وإقامة الحدود عليه حتى يكف عن معصيته ويتوب؛ لأن إقامة الحد عليه من مصلحته الدينية والدنيوية؛ لأنه يزجر عن مزيد من الفساد في الدنيا، ومَن أقيم عليه الحد لم يُعذب به في الآخرة؛ فإن الله أكرم من أن يؤاخذ العبد بالذنب مرتين.

۞ **وإجمالاً فإن المسلم يُحب وإن ظلمك والكافر يُبغض وإن منحك.**

٦- الهوى أن يكون الحب والبغض على حسب مراد النفس

ولكن الإيمان أن يكون الحب والبغض على حسب مراد الله تعالى، وما أوحاه إلى نبيه ﷺ، ومَن اتبع الهوى فإنما **يعبده من دون الله**

فليحذر من يتبع هواه في كل شيء، حتى لو أمره هواه ببيع دينه مقابل عَرَض من الدنيا، أو أمره هواه بالكفر أو اتباع هدي غير هدى رسول الله ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿**أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ**﴾ [الجاثية: ٢٣]

وقال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ**﴾ [القصص: ٥٠]

٧- تحرم الموالاة على أعراض الدنيا

فكما تحرم موالاة الكفار، كذلك تحرم موالاة المسلمين الأغنياء لأجل غناهم ومناصبهم لأن الموالاة تكون للدين لا للمال.

ويحرم معاداة الفقراء لأجل فقرهم .

وهذه الموالاة المحرمة ستنقلب يوم القيامة عداوة.

٨- لا ينبغي الأفراط في المحبة الطبيعية

۞ **وليحذر أن تزداد المحبة الطبيعية عن حدها فتنقلب معصية.**

فإن الله قد أنكر على أقوام أنهم آثروا حب أهليهم وأزواجهم وأموالهم ومساكنهم أكثر من حب الله ورسوله والجهاد في سبيله، وتوعدهم بالعذاب:

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَاۤؤُكُمْ وَأَبْنَاۤؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾[التوبة: ٢٤]

۞ أما إذا كان الآباء والأهل ممن يعاند شريعة الله؛ فيجب عدم موالاتهم، وتجب البراءة منهم وقطع المودة إليهم حتى يرجعوا.

قال الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاۤءَهُمْ أَوْ أَبْنَاۤءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [المجادلة: ٢٢]

وميزان الاعتدال في ذلك هو:

أ ـ صلة الأبوين الكافرين والإحسان إليهما:

فقد جاءت أم أسماء تطلب صلتها وهي كافرة، فاستأذنت أسماء رسول الله ﷺ في ذلك، فقال: «صِلِي أُمَّكِ» [صحيح البخاري ٢٦٣٠ ومسلم ١٠٠٣]

ب ـ ولكن يجب عدم طاعتهما في الكفر والمعاصي مطلقًا:

كما يجب بغض الكفر الذي هم عليه.

قال الله تعالى: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾ [العنكبوت: ٨]

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ [لقمان:١٥]

فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

۞ قال رسول الله ﷺ: «لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ.» [صحيح البخاري ٤٣٤٠ ومسلم ١٨٤٠ واللفظ له]

– وقد يتزوج المسلم من نصرانية أو يهودية وعليه أن يحسن عشرتها، بل إن تزوج معها مسلمة فعليه أن يعدل بينهما في النفقة والمبيت.

– لكن عليه أن يبغض دينها الفاسد ولا يجره حبها إلى استحسان دينها أو مشاركتها في أعيادها.

٩- من أحب شيئًا من دون الله كما يحب الله فهو ممن اتخذ من دون الله أندادًا:

ومثال ذلك: حب وتعظيم الملوك والرؤساء والكهان، وطاعتهم فيما يخالف أمر الله تعالى، حتى لو أمروه بالكفر لكفر، ولو أمروه باستحلال ما حرّم الله استحله، ولو أمروه بتحريم ما أحل الله حرّمه، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥]

١٠- من أحب الكافرين لكفرهم أو رضي بكفرهم أصبح كافرًا مثلهم:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النساء: ١٤٤]

وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة: ٥١]

فليحذر المسلم أشد الحذر من تعظيم حضارة الكفار تعظيمًا

شاملًا، فلا يفرِّق بين خيرها وشرِّها، وليحذر أشد الحذر من قبولها بكليتها فلا يفرِّق بين تقدمهم العلمي وكفرهم الاعتقادي.

١١ – الدعاوى العلمانية بمساواة الأديان كفر:

فإذا كان الدين هو الإسلام فقط وما سواه باطل فعلى ذلك:

من دعا إلى محبة أهل الأديان المختلفة أو المساواة بينهم فإنما يدعو إلى الكفر والعياذ بالله.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٩]

وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]

وبذلك يتضح بطلان الدعوة إلى محبة أهل الأديان كلهم، والمساواة بينهم، وتعانق الهلال والصليب، وعبارة: «الدين لله والوطن للجميع»، بل الدين لله والأرض والوطن لله، قال الله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾[البقرة:٢٨٤]

١٢- يحرم الاستغفار للكفار أو الترحم عليهم:

لأن هذا يستلزم حبهم أو تصحيح كفرهم.

قال الله تعالى: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ﴾ [التوبة: ٨٠]

وقال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]

١٣- على العكس من ذلك يُشرع الاستغفار للمؤمنين والمؤمنات، والدعاء لهم وللذين سبقونا بالإيمان:

قال الله تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ [محمد: ١٩]

وقال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحشر: ١٠]

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنِ اسْتَغْفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فَإِنَّ لَهُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَةً.» [رواه الطبراني في مسند الشاميين ٢١٥٥، وقال البيهقي اسناده جيد]

١٤- يجب الوفاء للمسلمين بحقوقهم:

ومن تلك الحقوق:

١ ـ احترام المسلمين

❁ قال رسول الله ﷺ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ.» [صحيح مسلم ٢٥٦٤]

٢ ـ عدم تنقصهم أو السخرية منهم

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾ [الحجرات: ١١]

٣ـ فلا يشاتمهم

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [الحجرات: ١١]

❁ قال رسول الله ﷺ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ.» [صحيح البخاري ٤٨ ومسلم ٦٤]

٤ـ ولا يصفهم بما لا يحبون من ألقاب

قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ**﴾ [الحجرات: ١١]

٥ـ ولا يظن بهم ظن السوء

قال الله تعالى: ﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ**﴾ [الحجرات: ١٢]

٦ـ ولا يتجسس عليهم

قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَجَسَّسُوا۟**﴾ [الحجرات: ١٢]

٧ـ ولا يغتب أحدهم

قال الله تعالى: ﴿**وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ**﴾ [الحجرات: ١٢]

إلى غير ذلك من الحقوق، كأن لا يظلم أحدهم، ولا يسلمه إلى عدوه، ولا يخذله، كما سيأتي في باب النصرة إن شاء الله.

١٥- ينبغي أن يحرص المسلم على زيارة إخوانه ولقائهم:

فإن محبة الله وجبت للمتزاورين فيه سبحانه.

❁ قال رسول الله ﷺ: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ.**» [صحيح رواه أحمد ٥/ ٢٣٣، ٢٣٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٤٣٣١]

❁ قال رسول الله ﷺ: «**أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ الْمَلَكُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أَزُورُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَهُ عَلَيْكَ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، إِلَّا أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ ﷻ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، إِنَّ اللهَ ﷻ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ.**» [صحيح مسلم ٢٥٦٧]

ومن أحبَّ أخاه كان أحرى به أن يخبره أنه يحبه في الله.

❁ قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُعْلِمْهُ إِيَّاهُ.**» [صحيح: رواه أبو داود ٢٣٩٢ والترمذي ٥١٢٤، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٤١٧]

١٦- ينبغي للمسلم أن يرفق بضعفاء المسلمين، ويوقر كبيرهم، ويرحم صغيرهم:

قال الله تعالى: ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ**﴾ [الفتح:٢٩]

❁ قال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا.**» [صحيح رواه أحمد ٢/ ٢٠٧، والترمذي ١٩٢٠، وأبو داود ٤٩٤٣ وصححه الألباني في الصحيحة ٢١٩٦]

فهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم؟

❁ قال رسول الله ﷺ: «**هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلاَّ بِضُعَفَائِكُمْ؟**» [صحيح البخاري ٢٨٩٦]

١٧- ينبغي للمسلم أن يتألم لآلامهم ويسر بسرورهم:

۞ قال رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ وتَرَاحُمِهِمْ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ.**» [صحيح البخاري ٦٠١١ ومسلم ٢٥٨٦]

۞ وقال رسول الله ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ؛ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وشبَّك بين أصابعه ﷺ.**» [صحيح البخاري ٤٨١ ومسلم ٢٥٨٥]

۞ وقال رسول الله ﷺ: «**أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى الله سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ.**» [صحيح رواه الطبراني في المعجم الكبير ١٢/ ٤٥٣، وحسنه الألباني في الصحيح الجامع ١٧٦]

١٨- ينبغي للمسلم أن يحب الخير للمسلمين:

۞ قال رسول الله ﷺ: «**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ.**» [صحيح البخاري ١٣ ومسلم ٤٥]

وأعظم ما يحب لنفسه: الطاعة، لذلك هو يحب أن يرى كل المسلمين على الطاعة، ثم هو يحاسب نفسه، فيجد أن نفسه مهما اجتهدت في الطاعة فهي مقصرة في جنب الله، فيبغضها؛ لأنه كان في وسعها مزيد من الطاعة لم تفعله، وكذلك يفعل مع إخوانه المسلمين.

١٩- ينبغي للمسلم أن يخبر أخيه أنه يحبه:

۞ وينبغي على الإنسان أن يخبر من يحبه عن محبته له، فعن أنس رضي الله عنه أن رجلًا كان عند النبي ﷺ، فمر رجل به وقال: «يا رسول الله، إني لأحب هذا»، فقال له النبي ﷺ: «**أَأَعْلَمْتَهُ؟**»، قال: «لا»، قال ﷺ: «**أَعْلِمْهُ**»، فلحقه، فقال: «إني أحبك في الله»، فقال: «أحبك الذي أحببتني له» [صحيح أبو داود ٥١٢٥ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٤١٨]

۞وعن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: «**يَا مُعَاذُ، والله إِنِّي لَأُحِبُّكَ.**»، فقال: «**أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ.**» [صحيح رواه أبو داود ١٥٢٢ والنسائي ١٣٠٣ وصححه الألباني في صحيح أبي داود]

ثانيًا ـ النصرة

١- يجب على كل مسلم أن ينصر الله بنصرة دينه :

فينصر دينه بكل ممكن ومستطاع، وبكل ما يملك من أسباب، ويجب عليه أن ينصر رسول الله ﷺ بنصرة سنته والذَّبِّ عنها، ويجب مناصرة المسلمين على عددهم ومعاونتهم بالنفس والمال واللسان فيما يحتاجون إليه في دينهم ودنياهم.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ [الأنفال: ٧٢]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «**المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ، وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ؛ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً؛ فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا؛ سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ.**» [صحيح البخاري ٢٤٤٢، ومسلم ٢٥٨٠]

❁ وقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.**» [صحيح رواه الترمذي ١٩٣١، وأحمد ٦/ ٤٤٩، وحسنه الترمذي وصححه لغيره الألبانى في الترغيب والترهيب ٢٨٤٨]

وفي رواية: «**مَنْ ذَبَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُعْتِقَهُ مِنَ النَّارِ.**» [صحيح لغيره: رواه أحمد ٦/ ٤٦١، وابن المبارك في الزهد ٦٨٧، والطيالسي ١٦٣٢، وعبد بن حميد ١٥٧٩، وابن أبي الدنيا في الصمت ٢٤٠، وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢٨٤٧]

❁ وليوقن المسلم أنه منصور بنصر الله له، فمن تولى الله والاه، ومن لجأ إلى الله آواه، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ١١]

وقال الله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠]

❁ **وإن الله ناصر من نصره**، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]

وقال الله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [الحديد: ٢٥]

❁ **والله تعالى وعد بنصر أوليائه:**

قال الله تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٠]

وقال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥]

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٢]

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات:١٧٣]

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ

ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ [غافر: ٥١]

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [الفتح: ٢٢]

وقال الله تعالى: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة:٢٥]

٢- أما من نصر الكفار على المؤمنين فقد أوجب لنفسه النار مهما زعم الإيمان أو قدم من اعتذار

قال الله تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ ﴾ [آل عمران: ٢٨]

❁ قال ابن جرير الطبري: «هذا نهي من الله ﷻ للمؤمنين أن يتخذوا الكفار أعوانًا وأنصارًا وظهورًا»، وقال: «ومعنى ذلك: لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهورًا وأنصارًا توالونهم على دينهم وتظاهرونهم على المسلمين، ومن يفعل ذلك فقد برئ من الله، وبرئ الله منه بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر»

٣- من ادعى الإسلام وخرج مع الكفار لقتال المسلمين فقد ارتد ودخل في دين الكفار

فلا يجوز لأحد أن يُرضي قومه على حساب الإسلام، ولا يعتبر حياؤه من قومه إكراهًا على قتال المسلمين.

❁ روى ابن جرير عن عكرمة في قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [النساء: ٩٧] قال: «لمَّا خرج المشركون من

قريش وأتباعهم لمنع أبي سفيان بن حرب وعير قريش من رسول الله ﷺ وأصحابه، وأن يطلبوا ما نيل منهم يوم نخلة؛ خرجوا معهم بشباب كارهين، كانوا قد أسلموا، واجتمعوا ببدر على غير موعد، فقُتلوا ببدر كفارًا، ورجعوا عن الإسلام» [«تفسير الطبري»]

يعني أن الله سماهم ﴿ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ لأنهم بخروجهم مع قومهم لحرب المسلمين قد رجعوا عن الإسلام، وأصبحوا مرتدين، وعندما قُتلوا على هذه الحالة قُتلوا وهم كفار.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ٩٧]

❁ قال ابن حزم: «من لحق بدار الكفر مختارًا محاربًا لمن يليه من المسلمين فهو بهذا الفعل مرتد له أحكام المرتد كلها» [المحلى ١١/ ٩٩]

٤- يحرم السير تحت راية الكفار

❁ يحرم السير تحت رايات الجاهلية أو أي راية «عمية».

والراية العمية هي التي لا تستبين هويتها ودينها ووجهتها وهدفها.

❁ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ، يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ؛ فَقِتْلَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ.» [صحيح مسلم ١٨٤٨]

۞ قال رسول الله ﷺ: « **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لاَ يَدْرِي الْقَاتِلُ فِي أَيِّ شَيْءٍ قَتَلَ، وَلاَ يَدْرِي الْمَقْتُولُ فِي أَيِّ شَيْءٍ قُتِلَ.** » [صحيح مسلم ٢٩٠٨]

۞ نعوذ بالله من الفتن، فإن حال هؤلاء أن الرجل لا يدري من يوالي ومن يعادي، وعلى أي أساس يوالي هذا أو يعادي ذاك، ولا يدري على ما يعادي أو يوالي، فربما عادى على الدرهم والدينار، وربما والى على الوطنية أو القومية أو القبلية، **وإنما كل ذلك جاهلية.**

۞ وإننا نرى هذا الآن، وسببه هو فقدان الهوية الإسلامية، وعدم وضوح الانتماء لهذا الدين، فنرى كثيرًا من الناس لا يستطيع تحديد هدفه أو هويته، وإنما هو مع الأكثرية، فلا يتميز بدينه، ولا يعتز بإسلامه، وإنما هو إمَّعة يسير مع الناس فيما وافق الدين أو خالفه، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

٥- يحرم تعصب الجاهلية:

وهو أن يتعصب الرجل لآخر فينصره لما يربط بينهم من روابط قومية أو وطنية أو عائلية، وهو لا يعلم: أصاحبه على الحق أم على الباطل، بل يجب أن تكون الرابطة هي الإسلام فقط، وأن تكون النصرة للإسلام فقط، فينصر أخاه المسلم إن كان مظلومًا، ويمنعه من الظلم إن كان ظالمًا.

۞قال رسول الله ﷺ: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، فقال رجل: يا رسول الله، أنصره إذا كان مظلومًا، أفرأيت إن كان ظالمًا، كيف**

أنصره؟، قال ﷺ: تَحْجُزُهُ ـ أَوْ تَمْنَعُهُ ـ مِنَ الظُّلْمِ، فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ.» [صحيح البخاري ٦٩٥٢]

لأن غرض المسلم هو نفع أخيه، فإن كان مظلومًا رد عنه الظلم فنفعه، وإن كان ظالمًا حجزه عن ارتكاب السيئات فنفعه.

۞ وعليه يتضح بطلان ما يُسمَّى بالقومية أو الوطنية أو غيرها من المبادئ العلمانية المخالفة للإسلام، فليس في الإسلام رابطة إلا الإسلام نفسه مهما تباعد مكان المسلم عن أخيه، أو اختلف لونه عن لون أخيه.

۞ قال رسول الله ﷺ: « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، أَلا وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، أَلا لا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ ، أَلا لا فَضْلَ لأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلا بِالتَّقْوَى .** » [صحيح رواه أحمد ٥/ ٤١١، وصححه الألباني في الصحيحة ٢٧٠٠]

۞ وفي الحديث عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما قَالَ: «**كُنَّا فِي غَزَاةٍ، «فَكَسَعَ» رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، كَسَعَ رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ ﷺ: دَعُوهَا؛ فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ.**» [صحيح البخاري ٤٩٠٥ ومسلم ٢٥٨٤] ، وكسع يعني ضرب.

وفي الحديث نهى الرسول ﷺ عن تعصب الجاهلية وهو أن ينهض الرجل لنصرة بني قومه لا لنصرة الحق.

٦- ولا يُستعان على المشرك بمشرك، ولا يستعان على المسلم بمشرك:

۞ روى الإمام مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ خرج إلى بدر، فتبعه رجل من المشركين، فلحقه عند الحرة، فقال: «إني أردت أن أتبعك، وأصيب معك، قال: تُؤْمِنُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ؟، قال: لا، قال: ارْجِعْ؛ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ.» [صحيح مسلم ١٨١٧]

٧- المسلمون مأمورون بالعدل مع الكفار الذين لم يقاتلوهم ولم يخرجوهم من أرضهم:

والعدل في التعامل غير المحبة القلبية المنهي عنها معهم.

قال الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]

٨- الهجرة:

١ـ يحرم على كل مسلم أن يقيم بين المشركين وهو قادرٌ على الهجرة حينما لا يتمكن من إقامة الدين أو إظهاره، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧]

۞ قال ابن كثير: ﴿ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي بترك الهجرة، وعاقبهم الله ﷻ على عدم الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام بأن منع

موالاة المؤمنين لهم.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟﴾ [الأنفال: ٧٢]

وقال الله تعالى: ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ٨٩]

۞ وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ؛ فَإِنَّهُ مِثْلُهُ.» [صحيح: رواه أبو داود ٢٧٨٧، وحسنه لغيره الألباني في السلسلة الصحيحة ٢٣٣٠]

٢ ـ والهجرة هي الانتقال من بلاد الكفر إلى بلاد المسلمين، وهي بهذا المعنى واجبة وباقية حتى قيام الساعة، وقد تبرأ النبي ﷺ من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين.

۞ قال رسول الله ﷺ: «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ.» [صحيح: رواه أبو داود ٢٦٤٥ والترمذي ١٦٠٤، وصححه الألباني في إرواء العليل ٥/ ٢٩-٣٠]

۞ قال ابن حزم: وهو يتكلم عن من سكن بين أظهر المشركين: «فإن كان هناك محاربًا للمسلمين معينًا للكفار بخدمة أو كتابة فهو كافر، وإن كان مقيمًا لدنيا يصيبها، وهو كالذمي لهم، وهو قادر على اللحاق بجمهرة المسلمين وأرضهم؛ فما يبعد عن الكفر، وما نرى له عذرًا»[المحلى١١/ ١٩٩]

٣ ـ وتستحب الهجرة لمن يتمكن من إظهار دينه.

٤ ـ وتسقط الهجرة عن العاجز عنها لمرض أو إكراه أو ضعف.

قال الله تعالى: ﴿ **إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا** ﴾ [النساء: ٩٨-٩٩]

۞ قال ابن حزم: «فإن كان لا يقدر على الخروج من هنالك لثقل ظهر أو لقلة مال أو لضعف جسم أو لامتناع طريق؛ فهو معذور»

هـ ـ ويحرم على كل مسلم أن يكثر عدد وسواد المشركين.

ثالثًا ـ الطاعة والمتابعة

ورد في لسان العرب: «المؤمن ولي الله: بمعنى المطيع، ويقال أيضًا: ولي فلانٌ فلانًا أي اتبعه.

ومن ادَّعى حب الله ورسوله وجب عليه حب مراد الله ورسوله، ووجب عليه حب شرع الله ورسوله واتباعه، فلا تصح دعوى محبة الله ورسوله إلا بالاتباع لشرع الله ورسوله.

قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ** ﴾ [آل عمران: ٣١]

١- تجب الطاعة المطلقة لله ﷻ، ولرسوله ﷺ:

قال الله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾ [النساء: ٥٩]

۞ وقال رسول الله ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟، وقال ﷺ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى.**» [صحيح البخاري ٧٢٨٠]

٢- تجب الطاعة التابعة لأولي الأمر:

وهم العلماء والأمراء المسلمين الذين يقودون الناس بشرع الله، وطاعتهم تابعه لطاعة الله ورسوله ﷺ، فطاعة الله ورسوله طاعة مطلقة، أما طاعة أولي الأمر فهي طاعة تابعة لطاعة الله ورسوله

قال الله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾ [النساء:٥٩]

فلم يقل: «وأطيعوا أولي الأمر»، بل ألحق طاعتهم بطاعة الله ورسوله ﷺ، فتجب طاعتهم إذا أمروا بطاعة الله ورسوله ﷺ، فالطاعة في المعروف فقط، وهو الذي عُرف حسنه في الشرع.

۞ قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ**» [صحيح البخاري ٧١٤٥ ومسلم ١٨٤٠]

فإذا أمروا بمعصية فلا سمع ولا طاعة

۞ قال رسول الله ﷺ: «**السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ؛ فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ**» [صحيح البخاري ٧١٤٤ ومسلم ١٨٣٩]

۞ وقال رسول الله ﷺ: «**لاَ طَاعَةَ لأَحَدٍ في مَعْصِيَةِ الله.**» [صحيح: رواه أحمد ٥/ ٦٦، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١٧٩]

۞ قال ابن كثير: ﴿**وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ**﴾، أي فيما أمركم به من طاعة الله، لا في معصية الله.

وطاعتهم مقيدة بإتباع سبيل المؤمنين فقط.

قال الله تعالى: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا**﴾ [النساء: ١١٥]

٣- من الموالاة الواجبة: اتباع الصحابة وأئمة الهدى من هذه الأمة:

٤- من البراءة الواجبة: رفض الدخول في طاعة الكفار إجمالاً:

وكذا عدم طاعتهم وإتباعهم فيما يدعون إليه من الكفر والفسوق والمعاصي.

والأدلة على ذلك:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿**وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ**﴾ [البقرة: ١٤٥]

٢ ـ قال الله تعالى: ﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٩]

٣ ـ قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا**﴾ [الكهف: ٢٨]

٤ ـ قال الله تعالى: ﴿**فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا**﴾ [الفرقان:٥٢]

٥ ـ قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ**﴾ [الشعراء: ١٥١]

٦ ـ قال الله تعالى: ﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾ [الأحزاب: ١]

٧ ـ قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ**﴾ [الأحزاب: ٤٨]

٨ ـ قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ**﴾ [الشورى: ١٥]

٩ ـ قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [الجاثية:١٨]

١٠ ـ قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ۙ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ (٢٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (٢٦) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (٢٧) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٥-٢٨]

١١ ـ قال الله تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [القلم: ٨]

١٢ ـ قال الله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾ [الإنسان: ٢٤]

وفي هذه الآيات التنبيه العظيم على عدم طاعة الكفار البيِّن كفرهم، وكذلك المنافقين وأصحاب الأهواء والرأي المخالف لشريعة الإسلام، وكذا المسرفين في المعاصي؛ لأن بغيتهم أن يرتدَّ أهل الإسلام عن دينهم، فإن لم يتمكنوا من ذلك أغروهم بأنواع المفسدات؛ حتى يقعوا في الفواحش، فيتخلوا عن دينهم القيِّم وشريعتهم الفاضلة.

۞ ومن أشد الفِرَق التي حذَّرنا الله منها اليهود والنصارى.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: ١٢٠]

وقال الله تعالى: ﴿ إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٩]

وقال الله تعالى: ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ [النساء:٨٩]

۞ وحذَّرنا الرسول ﷺ من اتباعهم فقال: «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ، قالَ الصحابة: يا رسولَ الله، اليهود والنصارى؟، قال: فَمَنْ؟»[صحيح البخاري ٧٣٢٠، ومسلم ٢٦٦٩]

٥- تحرم الدعوة إلى اتباع الكفار اتباعًا كاملاً في كل نواحي حياتهم خيرها وشرها:

ومن يدعو إلى اتباعهم في كل شيء فكأنه يزعم أن هذا هو السبيل لكي نتقدم مثلهم.

ولكن الصواب أن نأخذ ما ينفعنا، ونترك كفرهم وأخلاقهم الفاسدة.

٦- يحرم الانضمام للأحزاب العلمانية التي تدعو إلى المساواة بين الأديان:

وتدعو لاتحاد الكفر والإيمان؛ لأن المساواة بين الأديان كفر؛ فإن الحق في دين واحد هو دين الإسلام، وكل ما سواه من الأديان باطل.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران: ١٩]

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]

فهل يُعقل أن يتساوى الحق بالباطل؟ كذلك لا يُعقل أن يتحد الكفر والإيمان.

٧- يحرم اتباع شيوخ الضلالة والأحبار والرهبان فيما يأمرون به من تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله:

بل اتباعهم وطاعتهم مع اعتقاد جواز ذلك **شرك**، وكذلك تصديقهم أن لهم حق تبديل الشرع **شرك**، فإن الأحبار والرهبان قد بدَّلوا دينهم وحرَّفوا كتبهم.

قال الله تعالى: ﴿ **فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ** ﴾ [البقرة: ٥٩]

وهؤلاء هم الذين خالفوا دين الرسول ﷺ مع وجود البشارات الواضحات في كتبهم ببعثة الرسول ﷺ، ووجود الأمر بوجوب إتباعه ﷺ، ومع ذلك كانوا أول من حاربه ﷺ.

ويلحق بهؤلاء شيوخ الضلالة الذين تعلَّموا العلم ليضلُّوا الناس عن سبيل الله، فأوَّلوا الآيات على غير معانيها، ونسبوا للدين ما ليس منه افتراءً على الله، وإتباعهم يعني اتخاذهم أربابًا من دون الله، وإن لم يُصلُّوا أو يسجدوا لهم؛ فإن إتباعهم على تحليل ما حرَّم الله أو تحريم ما أحلَّ الله يعني اتخاذهم أربابًا من دون الله، قال الله تعالى: ﴿ **ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ** ﴾ [التوبة: ٢١]

۞ عن عدي بن حاتم، وكان نصرانيًا وأسلم، قال: «**أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَثَنَ وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٌ ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾، قَالَ أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ وَإِذَا**

حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ.» [صحيح رواه الترمذي ٣٠٩٥ وحسنه لغيره الألباني في السلسلة الصحيحة ٣٢٩٣]

۞ قال شيخ الإسلام: «هؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا ـ حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله ـ يكونون على وجهين:

أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله، فيتبعوهم على التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله اتباعًا لرؤسائهم، مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل، فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله ﷺ شركًا»

۞ وينبغي التنبيه أن طاعتهم في معصية الله مع اعتقاد القلب التزام الشرع بتحريم ما حرَّم الله وتحليل ما أحل الله، وإنما كانت طاعتهم في المعصية لمجرد شهوة، فإنما حكم هؤلاء كحكم أمثالهم من أصحاب الذنوب والمعاصي.

۞ قال شيخ الإسلام: «ثانيهما: أن يكون اعتقادهم بتحليل الحلال وتحريم الحرام ثابتًا، لكنهم أطاعوهم في معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصٍ، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب»

٨- لا يجوز تولية الكفار أمرًا من أمور المسلمين المهمة من الوظائف والمناصب والمهام التي فيها سلطان على المسلمين:

كالإمامة العظمى، وقيادة الجيوش، والحسبة، والقضاء، والوزارة.

۞ قال ابن القيم: «ولما كانت التولية شقيقة الولاية؛ كانت توليتهم نوعًا من توليهم، وقد حكم الله تعالى بأن من تولاهم فهو منهم، ولا يتم الإيمان إلا بالبراءة منهم، والولاية تنافي البراءة، فلا تجتمع الولاية والبراءة أبدًا، والولاية إعزاز، فلا تجتمع هي وإذلال الكفار أبدًا» [أحكام أهل الذمة ١/ ٢٤٢]

قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ** ﴾ [آل عمران: ١١٨]

فإن بطانة الرجل خاصة أهله وموضع سره، فنهى الله ﷻ المؤمنين أن يتخذوا بطانة من غيرهم من أهل الأديان؛ لأنهم حريصون على أن يقع المسلمين في العنت والحرج والمشقة.

۞ قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إن هاهنا غلامًا من أهل الحيرة حافظ كاتب، فلو اتخذنه كاتبًا»، وكان نصرانيًا، فقال: «قد اتخذتُ إذن بطانة من دون المؤمنين»، ففي هذا الأثر دليل على أن أهل الذمة لا يجوز استعمالهم في كتابة دواوين الدولة، فلا ينبغي الثقة بهم واتخاذهم مستشارين لأولي الأمر؛ فهم يبغضون المؤمنين، ويكيدون لنا بكل ما يستطيعون من مكر وخيانة؛ لإلحاق الضرر والأذى بنا وبكل وسيلة يقدرون عليها، ويستغلون ثقة المسلمين بهم للنيل منهم، قد ظهرت البغضاء على فلتات ألسنتهم، وعلى صفحات وجوههم، وقلوبهم أشد بغضًا لنا وللإسلام.

قال الله تعالى: ﴿ **قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ**

أَكْبَرُ ﴾ [آل عمران: ١١٨] فهل بعد ذلك يحبهم السُّذَّج المنخدعون؟!

قال الله تعالى: ﴿ **هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ** ﴾ [آل عمران: ١١٩]

فلا يخدعنكم قولهم؛ فإنهم إذا رأوا من المؤمنين قوة داهنوهم

قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** ﴾ [آل عمران: ١١٩]

وإذا رأوا في المسلمين ضعفًا أخرجوهم وقتلوهم، ولا يراعون لهم أدنى حق ولا ذمة.

قال الله تعالى: ﴿ **يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ** ﴾ [الممتحنة: ١]

وقال الله تعالى: ﴿ **لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً** ﴾ [التوبة: ١٠]

وقال الله تعالى: ﴿ **وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** ﴾ [البروج: ٨]

فهل يبقى بعد ذلك قول لغافل بحبهم ومودتهم؟! فإنهم إذا أصابنا خيرٌ أحزنهم، وإذا أصابنا شرٌّ فرحوا بذلك، فهل تبقى بعد ذلك مودة لهم؟!

قال الله تعالى: ﴿ **إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا** ﴾ [آل عمران: ١٢٠]

فلا ينبغي أن نكرمهم إذ أهانهم الله، ولا نعزهم إذ أذلهم الله، ولا

نقربهم إذا أبعدهم الله تعالى.

۞ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه حيث اتخذ كاتبًا نصرانيًا: «لا أكرمهم إذ أهانهم الله، ولا أعزهم إذ أذلهم، ولا أدنيهم وقد أقصاهم الله»

واحذر؛ فإن المنافقين يكيدون بالمؤمنين؛ ليجعلوا الولي عندهم عدوًّا، والعدو وليًّا حميًا.

قال الله تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨) ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٨-١٣٩]

فإن المنافق يريد أن تصبح الولاية للكفار، ولتحقيق ذلك فإنه يعظمهم، ويشيد بهم وبأعمالهم، ويذكر أمجادهم، ويلفِّق لهم البطولات الزائفة، وفي نفس الوقت يجتهد المنافق في صرف الولاية عن المؤمنين؛ حتى يوقع بينهم العداوة والبغضاء، أو على الأقل عدم الألفة، ولتحقيق ذلك يجتهد في تلفيق الاتهامات الباطلة لهم، ونشر الشائعات المغرضة عنهم، وتشويه صورتهم، بل صورة الإسلام كله، ويحشد في سبيل ذلك كل الوسائل، وعلى رأسها وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ولكن الله يبطل كيدهم، ويزهق باطلهم، ويهزم جموعهم وينصر دينه، وينشر شريعته، ويعز أولياءه، ويكثر أتباعهم رغم أنف المنافقين والحاقدين.

رابعًا - المعاونة والنصح

١- يجب على المسلمين التعاون على البر والتقوى:

ويُمنع خلاف ذلك من التعاون على الإثم والعدوان.

قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة:٢]

ومن أعظم التعاون على التقوى الإعداد لجهاد الكفار وقتالهم؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]

وقال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨]

٢- يجب على المسلمين التعاون على تعلُّم الصناعات ودعائم الاقتصاد:

يجب أن يكون المسلمون سباقين إلى التطور حتى لا يضطروا إلى استجداء تلك المعارف من الكفار، لكي تعود إليهم قوتهم وصولتهم ودولتهم.

٣- من الموالاة المحرمة معاونة الكفار على ظلمهم:

٤- من الموالاة المحرمة الثناء على الكفار:

يحرم نشر فضائل الكفار ومدحهم، والإشادة بحضاراتهم، والإعجاب بأخلاقهم دون النظر إلى كفرهم وفساد دينهم.

٥- ويحرم اتهام الإسلام بالرجعية والجمود والتخلف:

بل هذا هو الكفر البواح، ولا يجوز وصف المسلمين بصفة من تلك الصفات، كأن يُسمَّى المسلمون بالمتطرفين والإرهابيين والدجالين.

فلا ينبغي أن يُقال عن المسلمين **رجعيون**، إلا إن كان القصد قول الإمام مالك أنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح عليه أولها، ولا يُقال عن المسلمين **متطرفون**، وإن كان لابد للقائلين فكفى فخرًا للمسلمين أنهم في الطرف الذي فيه النبي ﷺ، ولا يُقال عن المسلمين **إرهابيون**، وإلا فهل كان جهاد نبينا ﷺ إرهابًا؟ وهل الإرهاب إلا إيذاء المؤمنين وأتباع المرسلين؟

ولا يُقال للمسلمين **دجَّالون ضالون**، وإلا فإن في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، حيث قيل عنه من قبل: ساحر أو مجنون، هل التطرف هو الطهارة والدين؟ أم التطرف هو اتباع سيد المرسلين؟ أم التطرف هو الإيمان برب العالمين؟

أم أن التطرف هو ذم محمد ﷺ والمقتدين به؟

أم أن التطرف هو الزندقة ومصانعة الكفر ومداهنة الكافرين؟ أم أن التطرف هو موالاة العلمانيين وحبهم ووصفهم بأنهم أصحاب الفكر المستنير؟ فاعلم أنه لا ينبغي أن يسمى المسلمون إلا بأسمائهم التي ساهم بها.

۞ قال رسول الله ﷺ: «**فَادْعُوا الْمُسْلِمِينَ بِأَسْمَائِهِمْ بِمَا سَمَّاهُمُ اللهُ ﷻ: الْمُسْلِمِينَ، الْمُؤْمِنِينَ، عِبَادَ اللهِ ﷻ.**» [صحيح رواه أحمد ٤/ ١٣٠ والترمذي ٢٨٦٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٧٢٤]

٦- يجب على كل مسلم أن ينصح لإسلامه:

ينبغي على كل مسلم أن ينشر محاسن دينه وفضائله، وأن ينصح لكل مسلم، فينشر فضله، ويستر عليه.

٧- يجب على كل مسلم أن ينصح لإخوانه المسلمين :

ويحرم عليه غشهم.

۞ قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا.**» [صحيح مسلم ١٠١]

فلا يرفع عليهم الأسعار ظلمًا فيضرهم، ولا يبع أحدهم على بيع أخيه

۞ قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بيعِ بَعْضٍ.**» [صحيح البخاري ٢١٥٠ ومسلم ١٥١٥]

ولا يحقر أحدهم أخاه، ولا يخذله، ولا يسلمه إلى عدوه

۞ قال رسول ﷺ: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ.**» [صحيح مسلم ٢٥٦٤]

۞ قال رسول الله ﷺ: «**الْمُسْلِمُ أَخُو المسلِمِ لَا يَظْلِمهُ وَلَا يُسْلِمُهُ.**» [صحيح البخاري ٢٤٤٢ ومسلم ٢٥٨٠]

ولا يخطب على خطبته

۞ قال رسول الله ﷺ: «**أَلَا لَا يَبِعِ الرَّجُلُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ، وَلَا يَخْطُبُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ.**» [صحيح البخاري ٥١٤٢ ومسلم ١٤١٢]

وليعلم أن دم المسلم وماله وعرضه حرام

۞ قال رسول الله ﷺ: «**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ.**» [صحيح مسلم ٢٥٦٤]

وهكذا حتى يصير المجتمع الإسلامي كله كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، فيتألم أحدهم لآلام إخوانه، ويفرح لسرورهم، فيصبح المجتمع المسلم كالبنيان يشد بعضهم بعضًا.

وهذا عكس حال أهل النفاق الذين يكونون مع المؤمنين في اليسر والرخاء، ويتخلَّون عنهم في حال العسر والشدة.

٨- وأعظم النصح هو الدعوة إلى الله:

قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ**﴾ [فصلت: ٣٣]

۞۞۞

خامسًا ـ حرمة التشبه بالكفار

حرص الشرع على أن يكون للمسلمين كيانهم المتميز الذي يعتزون به في كل الأمور، الذي يُتبع ولا يَتبع، والذي يظهر على كل شيء ولا يظهر عليه شيء؛ ذلك لأن دينهم هو الدين الحق الذي أرسل الله ﷻ به رسوله ﷺ الذي هو خير الرسل، وأنزل عليه أفضل الكتب، وجعل أمته خير الأمم، قال الله تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾ [آل عمران: ١١٠]

وهو دينٌ تامٌ ليس فيه نقص ولا يحتاج إلى تتميم، قال الله تعالى: ﴿**ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ [المائدة: ٣]

فما من شيء حسن إلا وقد أمر به، ولا شيء خبيث إلا وقد نهى عنه، وهو الدين الخاتم الناسخ لكل ما سواه من الأديان، فهو الذي يجب أن يُتبع دون ما سواه.

۞ فالذي يتشبَّه بالكفار فكأنه مقرٌّ لما عندهم من الكفر والمنكرات راضٍ بها.

– وكأنه يقول أن ما عندهم من الباطل خيرٌ مما عندنا من الحق في ديننا.

وكأنه يظن أنهم هم الجديرون بالإتباع دون أولياء الله الصالحين ورسوله الأمين ﷺ.

- وكأنه يرى أن عندهم محاسن يفتقدها شرعنا، وهذا قد يصل به إلى الكفر إن اعتقد ذلك.

١- من تشبه بقوم فهو منهم :

۞ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ.» [صحيح: رواه أبو داود ٤٠٣١ وصححه الألباني]

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، ومن تشبه بقوم حشر معهم يوم القيامة؛ لأن التشبه يدل على محبة المتشبَّه به، لذلك شُرع للمسلمين أن يتشبَّهوا بالنبي ﷺ في الظاهر ويصدقوا في إتباعهم له في الباطن، فإن فعلوا ذلك حُشروا معه يوم القيامة، وشربوا من حوضه ﷺ، ودخلوا الجنة خلفه ﷺ.

٢- لا يُشرع التشبه بالكفار في ما يخصهم من عادات :

ومن هذه العادات الأكل واللباس والحديث

- وعلى المسلمين أن يبتعدوا عن موضات أزيائهم وتبرجهم وأخلاقهم الفاسدة، وما حرم من طعامهم من شرب للمسكرات وأكل للخنزير، ويبتعدوا عن عاداتهم من حلق اللحى وإطالة الشوارب وغيرها

۞ قال رسول الله ﷺ: «غَيِّرُوا الشَّيْبَ، وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ.» [صحيح رواه الترمذي ١٧٥٢ وأحمد ٢/ ٢٦١ وصححه الألباني في الصحيحة ٨٣٦]

۞ لذلك سنَّ لنا النبي ﷺ صوم تاسوعاء وعاشوراء مخالفةً لهم؛ لأن اليهود كانوا يصومون عاشوراء من كل عام، وكذلك أمرنا رسول الله ﷺ بتعجيل الفطر وتأخير السحور مخالفة لهم، وكذلك أمرنا ﷺ بالصلاة في النعال مخالفة لهم.

۞ فيحرم ما يفعله البعض من الكلام بلغتهم، وتحرِّي ذلك، واعتبار ذلك من التقدم والرقي؛ لأن ذلك دليل على حبهم، والإعجاب بهم، واستهجان اللغة التي نزل بها القرآن، ويحرم كذلك الكلام بلغتهم إذا كان يُقصد منه التعالي على أهل الإسلام، فعلى المسلم عدم التحدث بلغتهم إلا عند الحاجة، قال عمر رضي الله عنه: «لا تعلموا رطانة الأعاجم، ولا تدخلوا على المشركين كنائسهم يوم عيدهم؛ فإن السخطة تنزل عليهم.» [صحيح، رواه عبد الرزاق في المصنف ١/ ٤١١ وأبي شيبة ٥/ ٢٩٩ والبيهقي في السنن الكبرى ٩/ ٢٣٤]

٣- يحرم التشبه بالكفار في أعيادهم وعبادتهم:

بل لنا أعيادنا، ويجب أن نتميز فيها بعباداتنا من صلاة ونُسك وذبح الأضاحي وعدم الصوم فيها

۞ قال رسول الله ﷺ عن أعياد المشركين: «إِنَّ اللهَ ﷻ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا: يَوْمَ الْأَضْحَى وَيَوْمَ الْفِطْرِ.» [صحيح رواه أبو داود ١١٣٤ والنسائي ١١٥٦ وأحمد ٣/ ١٠٣، وصححه الألباني في الصحيح الجامع ٤٣٨١]

٤- تحرم مشاركة أهل الكتاب في أعيادهم وشهودها:

لأنها من الزور، قال الله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ** ﴾ [الفرقان: ٧٢]

وتحرم تهنأتهم بأعيادهم، ومساعدتهم في إقامتها، فهل يهنِّئ المسلم على الزور أو يعاون عليه؟!

ويحرم أن يبيع لهم المسلم ما يستعملونه في إقامة الاحتفال بعيدهم من شجرة عيد الميلاد، أو زينتها، أو تمثال (أبيهم نويل)، أو تمثال مريم والمسيح عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿ **وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾ [المائدة: ٢]

ويتأكد التحريم على المسلم أن يستعمل هذه الأشياء ويحتفل هو بها.

٥- لا ينبغي التسمي بأسمائهم:

وليعلم المسلم أن خير الأسماء: عبد الله وعبد الرحمن.

۞ قال رسول الله ﷺ: «**خَيْرُ الأَسْمَاءِ عَبْدُ الله وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ.**»

[صحيح رواه أحمد في مسنده ٤/ ١٧٨ وصححه الألباني في الصحيحة ٩٠٤]

٦- ينبغي الحرص على التأريخ بتاريخ هجرة الرسول ﷺ

وينبغي تقديم التاريخ الهجري على التأريخ بالمولد الكاذب للمسيح عليه السلام، فعلى التأريخ الهجري تُحسب مواسم المسلمين،

وأعيادهم، وصيامهم، وحجهم، ومواقيت زكاة أموالهم.

قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ** ﴾ [التوبة: ٣٦]

فهل فبراير ومارس من الشهور المحرمة؟ إنما المحرم المعظم هو رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم.

قال الله تعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ** ﴾ [البقرة: ١٨٩] فالله تعالى جعل مواقيت الناس هلال القمر في الأشهر العربية؛ لأن الهلال لا يكون في أول أغسطس أو سبتمبر، والناس لا يحجُّون في أكتوبر، أو يصومون في يوليو.

۞ وهذه الأسماء عندهم هي أسماء لبعض آلهتهم الباطلة، أو أسماء لرؤساء دينهم الباطل.

❋❋❋

سادسًا ـ السفر إلى بلاد الكفر

١- يحرم السفر إلى بلاد الكفار للنزهة والسياحة :

لأنه في هذه الحالة يرى المنكرات ويشارك فيها، ولا يدعو إلى الله.

٢- يحرم السفر إلى بلاد الكفار إلا عند الحاجة، كالعلاج، أو التجارة، أو العلم

- والعلم الذي يجوز السفر من أجله هو العلم الذي لا يمكن الحصول عليه إلا بالسفر إليهم، فيجوز بقدر الحاجة
- والسفر يجوز بشرط أن يكون المسلم مُظهِرًا لدينه، معتزًّا بإسلامه، مبتعدًا عن مواطن الشر، حذِرًا من كيدهم.

٣- يجوز السفر أو يجب إلى بلادهم إذا كان لأجل الدعوة إلى الله ونشر الإسلام.

۞ قال الشوكاني: «إن كانت المصلحة على طائفة من المسلمين ببقائه ظاهرة، كأن يكون له مدخل في بعض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو في تعليمه معالم الخير، بحيث يكون ذلك راجحًا على هجرته وفراره بدينه؛ فإنه يجب عليه ترك الهجرة؛ رعاية لهذه المصلحة الراجحة» [السيل الجرار ٤/ ٥٤٧]

۞۞۞

سابعًا ـ البيع والهدية والسلام والوظيفة

١- يجوز البيع والشراء مع الكفار فيما لا يستعينون به على المسلمين:

وفيما يحلُّ للمسلم شراؤه وبيعه، لأن البيع والشراء ليس من الموالاة.

۞ قال ابن حجر: «قال ابن بطال: معاملة الكفار جائزة، إلا بيع ما يستعين به أهل الحرب على المسلمين» [فتح الباري ٤/ ٤١٠]

٢- يجوز قبول هدية المشرك إذا كان لا يُريد بها التودد والموالاة :

وإذا كانت الهدية لا تجر إلى المودة والموالاة؛ فقد قبل النبي ﷺ إهداء ملك أيلة له، وكانت الهدية بغلة بيضاء، ولكن مَن عُلِمَ أن هديته تجر إلى التودد والموالاة امتنع من قبولها؛ حتى لا تؤدي إلى ما حرَّم الله، فالنبي ﷺ لم يقبل بعض ما أهداه الكفار، والسبب في ذلك ما ذكره ابن حجر حيث قال: «وجمع غير الطبري بأن الامتناع في حق من يريد بهديته التودد والموالاة، والقبول في حق من يُرجى بذلك تأليفه على الإسلام» [فتح الباري ٥/ ٢٤١]

٣- يجب رد السلام عليهم بأن نقول: « وعليكم»

ويحرم ابتداؤهم بالسلام.

۞ قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَبْدَءُوا الْيَهُودَ وَالنَّـصَارَى بِالـسَّلَامِ.**» [صحيح مسلم ٢١٦٧].

۞ وقال رسول الله ﷺ: «**إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ؛ فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ.**» [صحيح البخاري ٦٢٥٨ ومسلم ٢١٦٣] ولينتبه السامع، فإن كثيرًا منهم يقولون: «السام عليكم»، وليس السلام عليكم، والسام معناه: الموت.

٤- لا يجوز أن يعمل المسلم عند كافر عملاً فيه إذلال له كالخادم:

۞ قال ابن المنير: «استقرت المذاهب على أن الصناع في حوانيتهم يجوز لهم العمل لأهل الذمة، ولا يُعد ذلك من الذلة، بخلاف أن يخدمه في منزله وبطريق التبعية له»، وقال ابن قدامة: «لا تجوز إجارة المسلم للذمي لخدمته» [المغني ٥/ ٤١٠]

ويجوز العمل الذي ليس فيه ذلة بشرط:

أ ـ أن يكون فيما يحل فعله، فلا يصنع لهم الخمر أو آنية الذهب والفضة.

ب ـ أن لا يعود بالضرر على المسلمين، فلا يصنع لهم السلاح وما شابهه.

٥- يجوز الانتفاع بعلوم الكفار الدنيوية التي لا يُتقنها مؤمنٌ تقيٌّ:

فقد استأجر النبي ﷺ ابن أريقط الليثي وهو كافر؛ ليدله على طريق الهجرة إلى المدينة.

٦- يجب صلة الوالدين وإن كانا كافرَيْن:

فالمكافأة الدنيوية وبذل المال شيء والموالاة شيء آخر، فإن حسن المعاملة ترغِّب الكافر في الإسلام، وهي من وسائل الدعوة، وهي ليست من الموالاة

– أما المودة المحرمة فهي التي تتضمن إقرار الكافر على كفره، والرضا به، وهي التي تسبب الحياء من دعوته إلى الإسلام.

۞۞۞

ثامنًا ـ تحريم المداهنة على حساب الدين

١- تحرم المداهنة في أحكام الشريعة وآيات والقرآن مطلقًا:

فإنما هو الحق الذي ينبغي أن يُصدع به، ويُعض عليه بالنواجـذ، وتُعقد عليه القلوب، وتُثنى عليه الخناصر، وتُصقل عليه السيوف، ويحارَب ويُسَالم لأجله، ولا يكون للقلب اهتداء إلا به، ولا شـفاء إلا به، ولا مخالصة إلا عليه، ولا محاكمة إلا إليه.

٢- يجب على المسلم الاعتزاز بعقيدته :

وينبغي على أولي العزائم أن يجهروا بشرائع الدين

– ويجب أن يزداد تميز المسلم بعقيدته كلما ازدادت عودة المجتمع إلى جاهليته.

ويجب على المسلم أن لا يعطي الكفار الدنيَّة في دينه، وليعلم أنـه لا عز لنا إلا بالإسلام، ❁ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «إنا كنا أذل قوم، فأعزنا الله بالإسلام، فمهما طلبنا العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله.» [صحيح رواه الحاكم ١/ ٦٢٠٦١، وصححه الألباني في الصحيحة ٥١]

٣- تحرم مجاملة الكفار على حساب الدين :

فلا ينبغي أن ينسلخ المسلم مـن إسـلامه حتـى لا يُقـال عنـه: متعصب، أو متزمِّت، أو متطرف، أو إرهابي، فيخشى الناس أكثر

من خشيته لله، فيترك شعائر دينه الظاهرة خشيةً أو مداهنةً للكفار، بل عليه أن يَتَّبع أمـر الله تعـالى ورسـوله ﷺ ظـاهرًا وباطنًـا، ولا ينحرف في عقيدةٍ أو سلوكٍ، ثم لا يعبأ بما يفتريه عليه الظالمون.

ونقول لهؤلاء الظالمين: بئس ما فعلتم أن صددتم عن سبيل الله، واتخذتم عباد الله وآياته هزوًا، وبئس ما فعلتم من معاداة المؤمنين

❁ قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُـهُ بِالحَرْبِ.**» [صحيح البخاري ٦٥٠٢]

ومن آذنه الله بالحرب أهلكه وأخذه، وإن أخذه لم يفلته، فإنهم ما ينتظـرون إلا انتـصار المـؤمنين في الـدنيا، أو عـذاب الجحـيم في الآخرة.

قـال الله تعـالى: ﴿ **يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ** ﴾ [الصف: ٨]

❁❁❁

تاسعًا ـ التقية

١- التقية جائزة

والتقية هي ليست من الموالاة، وهي أن يداري المؤمن الكفار بلسانه طالما كان قلبه مطمئنًا بالإيمان.

قال الله تعالى: ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ [آل عمران: ٢٨]

۞ قال البغوي: «نهى الله المؤمنين عن موالاة الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم إلا أن يكون الكفار غالبين ظاهرين، أو يكون المؤمن في قوم كفار يخافهم، فيداريهم باللسان، وقلبه مطمئن بالإيمان؛ دفعًا عن نفسه، من غير أن يستحل دمًا حرامًا أو مالًا حرامًا، أو يُظهِر الكفار على عورة المسلمين، والتقية لا تكون إلا مع خوف القتل وسلامة النية» [تفسير البغوي ١/ ٣٣٦]

۞ وقال ابن القيم: «معلوم أن التقاة ليست بموالاة، ولكن لما نهاهم عن الموالاة اقتضى ذلك معاداتهم والبراءة منهم، ومجاهرتهم بالعدوان في كل حال إلا إذا خافوا من شرِّهم، فأباح لهم التقية، وليست التقية موالاة لهم.» [بدائع الفوائد ٣/ ٥٧٥]

وشروط التقية:

١ – أن يكون المسلم في سلطان الكفار.

٢ – أن يخافهم على نفسه، فإن كان في سلطانهم ولم يخفهم على نفسه لم تَجُز.

٣– أن يداريهم بالقدر الذي يدفع شرهم عنه، فلا يزيد على ذلك.

٤ – أن يظل قلبه مطمئنًا بالإيمان، ولا يركن إلى كفرهم، ولا يميل قلبه إلى باطلهم.

٥ – ألا يضر مسلمًا، فلا يدلُّ عليه، ولا يسلمه إليهم.

۞ قال رسول الله ﷺ: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ.**» [صحيح البخاري ٢٤٤٢ ومسلم ٢٥٨٠].

٦ – ألا يستحل مسلمًا كأن يستحل منه دمًا أو عرضًا حرامًا.

۞ قال رسول الله ﷺ: «**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ.**» [صحيح مسلم ٢٥٦٤]

٧– ألا يفدي نفسه بمسلم آخر.

٨– ألا يظهر الكفار على عورة المسلمين.

٢-وشروط الإكراه المعتبر:

١ – أن يكون المُكْرِه قادرًا على فعل ما يهدد به.

٢ – أن يكون الضرر فوريًّا فلو كان التهديد لأَجَل لم يجز الإكراه.

٣– أن يغلب على ظنه أن المُكْرِه سينفِّذ ما هدد به.

٤ – أن لا يستطيع الدفع، ولو بالفرار، أو فداء نفسه بالمال.

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:٢٠٧]

۞ نقل ابن كثير عن ابن عباس، وأنس، وسعيد بن المسيب، وعكرمة رضي الله عنهم أن الآية نزلت في صُهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه حيث أقبل مهاجرًا نحو النبي ﷺ، فاتبعه نفرٌ من قريش، فنزل عن

راحلته وانتثل ما في كنانته، ثم قال: «يا معشر قريش، قد علمتم أني من أرماكم رجلًا، وأنتم والله لا تصلون إليَّ حتى أرمي بكل سهم في كنانتي، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، ثم افعلوا ما شئتم، وإن شئتم دللتكم على مالي وقنيتي بمكة وخليتم سبيلي»، قالوا: «نعم»، فلما قدم على النبي ﷺ قال: «**رَبِحَ الْبَيْعُ**»، وفي رواية: «**رَبِحَ صُهَيْبٌ، رَبِحَ صُهَيْبٌ**» مرتين [صحيح رواه الحاكم ٣/ ٣٩٨ وصححه على شرط مسلم]

٣- وليعلم أن التقية رخصة، وأن الصبر على البلاء عزيمة:

والصبر على المكاره أولى من اتباع الرخص، قال البغوي: «والتقية لا تكون إلا مع خوف القتل وسلامة النية... ثم هذا رخصة، فلو صبر حتى قُتل فله أجر عظيم» [تفسير البغوي ١/ ٣٣٦]

وليحذر الأئمة من التقية؛ لأنه إذا تكلم العالم تقية، والجاهل يجهل؛ فمتى يتعلم الناس؟!

٤- ويجوز قبول حماية المشرك للمسلم :

ويجوز للمسلم أن يقبل حماية الكافر حتى يتمكن من تبليغ دعوته ونشر الإسلام، ولكن بشرط ألا يتنازل عن شيء من أحكام الإسلام، مثلما فعل النبي ﷺ حينما قَبِلَ حماية عمه أبي طالب له رغم أنه ظل على شركه ولم يدخل في الإسلام.

❋❋❋

الخاتمة

نسأل الله حسنها إذا بلغت الروح المنتهى

١-يحبون ربهم:

وهكذا الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب، فيمتلئ القلب بحب الله ورسوله ﷺ، ولا يبقى فيه مكان لشيء بعد، أي شيء، حتى نفسه لا يجد في قلبه متسعًا لها بعد حب الله، إلا ما كان حبه تابعًا لحب الله ورسوله ﷺ.

فحب الله نورٌ يضيء في القلب، وحب الدنيا ظلمات بعضها فوق بعض، فإذا صدق حب العبد لربه امتلأ قلبه من نوره، فبدَّد نوره كل ظلمات قلبه، وأضاء كل حنايا صدره، حتى إذا استشعر العبد حلاوة الإيمان طلب مزيدًا من القرب، فعلم أنه لا يبلغ ذلك إلا ببذل ماله ونفسه لربه، فهان عليه عَرَضٌ فانٍ، وهان عليه جَسَدٌ بالٍ، واختار جوار ملك باقٍ.

٢- أذلة على المؤمنين:

أرقَّاء رحماء مشفقين عطوفين على إخوانهم، يعامل أحدهم إخوانه كالولد لوالده وكالعبد لسيده، كأن أمواله اقترضها منهم، فإن سألوها سارع بردها إليهم، لا يرى لنفسه منَّة في أداء حقهم عليه.

وأن نفسه عارية أعارها له خالقها، فإن طلبها منه نصرة لدينه ودليلًا على محبته تعالى؛ سارع بدفعها إلى خالقها، لا يرى لنفسها فضلًا، بل الفضل لله إن قبلها، بل يرى نفسه مقصرًا، ويندم ويشتدُّ أسفه على طول ما أمسك نفسه وضنَّ بها قبل أن يبذلها لخالقها، ثم إذا نظر إلى نفسه وجد بها عوامل العيب والنقص، وأنها أقل من أن

تبذل في الله العظيم، وهل تصلح نفسٌ كنفسه أن تبذل في الله؟

فيا فرحة القلب إن قبلها على عيبها، ويا لفوز العبد إن قبلها على نقصها.

٣- أعزة على الكافرين:

فهو كالأسد على فريسته، فإن حاربهم شرَّد بهم من خلفهم، وعلا عليهم بإيمانه، فما قام له شيء إلا أنامه، وما عارضه باغ إلا أزال أركانه ودَّمر بنيانه، وكان تكبيره يوم الصبيحة أشد على عدوه من أعتى السلاح، فما من سلاح إلا وعند الكافر أكبر منه إلا الإيمان بالله؛ فليس شيء أكبر من الله، وهو ناصر من تولَّاه، ومعزٌّ من رجاه، ومجيب من دعاه.

٤- يجاهدون في سبيل الله:

فهو ينصر دينه بنفسه وماله ولسانه، وبكل ممكن ومستطاع، وبكل ما وصلت إليه يده وطاقته وعلمه وسمعه وبصره؛ وذلك حتى تتحقق دعوى المحبة لله ولرسوله ﷺ، فلا تثبت هذه الدعوى إلا ببذل النفس والمال في سبيل الله حتى ينال محبة الله، فتجده يسارع ببيع نفسه إلى الله، فمرحبًا بعقد كان الله فيه المشتري والثمن الجنة، والدفع نقدًا لأنه إذا مات دخل الجنة من فوره، ولا ينتظر إلى يوم الحساب.

فلما عَظُم الثمن نظر إلى السلعة وهي نفسه، فوجد أن مشتريها كان يملكها قبل أن يشتريها، ولكنه من جُوده ـ سبحانه ـ أخبر المؤمنين أن من بذلها له طواعية ردَّها عليه، وزاده على ذلك الجنة.

فالمنَّة لله أولًا حين منحها.

والمنَّة لله ثانيًا إن قبلها.

والمنَّة لله ثالثًا حين ردها.

والمنَّة لله رابعًا حين يدخله الجنة.

٥- ولا يخافون لومة لائم:

۞ قال ابن رجب: «لا همَّ للمحبِّ غيرُ ما يُرضي حبيبه، رضي من رضي، وسخط من سخط، من خاف الملامة في هوى من يُحبُّه فليس بصادقٍ في المحبَّة» [جامع العلوم والحكم ٢/ ٣٣٩]

– فلا يلتفت إلى من يلومه في حبه وبذله لربه من زوجة أو ذرية، ولا يثنيه ذلك اللوم عن عزمه من تمام البذل حتى يرث الجنة، فلا تأخذه في الله لومة لائم، ولا تمنعه رهبة الناس أن يصدع بالحق، فإنه لا يقرِّب من أجل، ولا يمنع من رزق، فإذا بلَّغ عن الله فتجده لا يُخفي شيئًا من الحق، وتلك علامة صحة المحبة ودليل إخلاصها.

۞ وتجده قد هانت عليه نفسه في الله فلم يقم لها وزنًا، دائم الذكر لربه والقيام بحقه وفرضه، قد استلذَّ بالطاعة وتحمل المشقة، فإن تكلَّم فبالله، وإن تحدَّث فعن الله، وإن تحرك فبأمر الله، دائم المراقبة لربه، كأن الجنة عن يمينه، والنار عن يساره، والصراط أمامه فتجده لا يصنع إلا ما ينجيه، ولا يخالف إلا ما يرديه، ولا همَّ له إلا رضا مولاه، لسان حاله يقول: ربي، أنت وليِّي في الدنيا والآخرة، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، ولا تكلني إلا إليك، ربنا هب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، ﴿**وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا**﴾ [النساء: ٧٥]

۞ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.